نبأ من الصين

اخذنا منذ عشر سنوات ونيف ننشر في المقتطف فصولاً متوالية عنوانها نبأ من اليابان نقصد بها الحض والاغراء لكي نقتدي الشعوب التي تُكلم العربية بامة اليابان ولكن هيهات ان يدرك الظالم شأو الصليع فلا نسير ميلاً حتى يسير اليابانيون فرسخاً لاننا مقيدون بسلاسل واغلال يتعذر فكها وارئك احرار يفعلون ما يرونهُ نافعاً لا فرائض تمنعهم ولا سنن تقف في سبيلهم يلبسون لكل حالة لبوسها فاذا كان ما ورثوهُ من اسلافهم صالحاً لهذا العصر احتفظوا بهِ والاَّ اهملوهُ وابدلوهُ بغيرهِ لانهم لم يقفلوا باب الاجتهاد ولا خصوا سلفاءهم بالعصمة ونفوسهم بالخطاء

لما حدث الانقلاب الثاني منذ اربع سنوات رجونا ان يكون من ورائهِ نهوض الامة واصلاح حكامها . ولكن الامة لم تنهض لانها مقيدة والحكام لم يصلحوا ونحن الآن ابعد عن اليابان مما كنا منذ اربعة اعوام . والحال في مصر اصلح منها في تركيا من وجوه كثيرة ولكنها لا تقابل بحال اليابان فصار علينا ان نلتفت الى بلاد اخرى شرقية للتشبه بها وهي وان كانت اقدم من اليابان عمراناً بل اقدم من كل ممالك الارض ولا نستثني مصر وبابل واشور الاَّ انها اصيبت منذ قرون كثيرة بما اوقف عمرانها او ردَّهُ القهقرى . ولعلَّ النظر اليها اجدر بنا لانها مقيدة بقيود مثلنا بادبانها وعاداتها . ولو كان في عاداتها الموروثة اشياء كثيرة تساعدها على كسر قيود التقليد ومجاراة العصر في الارتقاء

وقد بحث احد الكتَّاب في عادات الصينيين فوجد فيها كثيراً مما يحبب اليهم الحكم الجمهوري و يسهّل عليهم الارتقاء فقال : — ذكرت احدى صحف شنغاي الصينية اليومية ان المعلم الكبير كنفوشيوس وهو من المشهورين في الصين اصيب بداء عياء ولما حضرتهُ الوفاة طلب من ابنهِ الاكبر ان يجزَّ ذؤابتهُ قائلاً اني اطلقتها منذ ستين سنة وهي علامة الاستعباد للشو والآن قد حان زمان العتق فلا اريد ان أبعث عبداً وانا من ابناء « هان » الاحرار

وترى الجرائد الصينية تلقب جنود الثائرين بابناء « هان » محبي الوطن وجنود الحكومة بعبيد المنشو . ونشرات الثورة تلقب الصينيين بامة « هان » وتؤرخ من بداءة دولة « هان » وذلك كلهُ يشير الى عصر دولة هان الصينية التي كانت تنكين عاصمتها فانها الدولة التي سنت للصين دستوراً قبل المسيح باكثر من مئتي سنة وهو العقد الثالث الذي عُقد بين الامبراطور وشيوخ الامة وسمي بالمثلث لانهُ بني على ثلاثة اركان الاول قصاص القاتل القتل . والثاني

قصاص السارق والجارح التعويض والحبس . والثالث كل ما سوى ذلك يقضي به الشعب

ولا يزال هذا العقد مرعيًّا في بلاد الصين لا لتعداد احكامها وشرائعها لانها كلها تختص بالمسائل الجنائية اما المسائل المدنية فقد تُركت للشعب ليتدبَّر فيها كما يشاء

وقانون الصين واسع دقيق يملأ ٣٦ مجلداً ولكنك قلما تجد فيه كلمة عن العقود والنقود والشركات وغيرها من القوانين المدنية

وللصيني مطلبان كبيران يسعى اليهما الاول التجارة فهو تاجر بالطبع ولا يخشى ان يتعرض له حاكم او موظف في تجارته . والتجارة منتظمة عندهم احسن انتظام ولكل فريق من التجار نقابة تجمعهم ودار يجتمعون فيها فتجد في شنغاي مثلاً نقابة تجار الاقمشة ونقابة تجار الافيون ونقابة تجار الحرير ونقابة الصيارفة وهلمَّ جرًّا . وما من فريق من تجارهم يعجز عن تأليف نقابة له لتدبير امورهُ وبناء دار لها يجتمع فيها حتى الشحاذون لهم نقابة تتولى امورهم

ولهذه النقابات سلطة عظيمة . حدث منذ مدة ان والياً من الولاة اراد ان يزيد الضريبة على الملح فاحتج التجار عليه واصرَّ الوالي على عزمه فابطل تجار الملح البيع والشراء حتى الغى الوالي الضريبة ثم طلب من الامبراطور ان يعفيهُ من الولاية

وقد استنبطت نقابة الصيارفة المفاتيح والتحاويل منذ قرون كثيرة وهم يتعاملون بها كالنقود . وعندهم نقابة لتأليف الشركات وهي التي ألَّفت شركات الضمان حديثاً . ونقابة للملاحة وهي التي انشأت شركات للهاجرة . حتى قال بعض الخبيرين في امور الصين انهُ اذا جمعت قوانين هذه النقابات اغنت عن اوسع القوانين التجارية

وقلما يرفع التجار دعاويهم الى المحاكم فاذا وقع خلاف بين اعضاء نقابة واحدة فصلت فيه النقابة حالاً فصلاً لا يقبل الاستئناف واذا وقع خلاف بين اثنين من نقابتين مختلفتين فصلت فيه النقابتان مجتمعتين او عيَّنتا حكماً من نقابة ثالثة . واذا رُفعت دعوى تجارية الى مجلس القضاء استدعى القضاة اناساً من نقابة التجار ليحكموا فيها

والحكومة تتجنَّب التعرُّض للناس ولو في ما يحق لها التعرُّض فيه مثال ذلك ان للزيجة قوانين كثيرة ولكن كل احد يتزوج كما يشاء ولا يُسأل عمَّا يفعل الاَّ اذا فعل امراً منهيًّا عنهُ حسب قانون البلاد . وهذا شأنها في الطلاق فان شروطهُ محددة ولكن الحكومة لا تتعرض لهُ الاَّ اذا خالف الزوج الشروط التي تبيح الطلاق وشكتهُ زوجتهُ فان الحكومة تعاقبهُ حينئذٍ العقاب الذي يقرضهُ القانون

ومن مزايا القوانين الصينية الجنائية ان الناس متضامنون متكافلون فيها فاذا اشترك

اخوة في جريمة وقع العقاب على اكبرهم سنًّا. واذا قُتل انسان في مكان ولم يعرف القاتل أُخذ اهل الجوار كلهم بجريمته لانهُ كان يجب عليهم ان يمنعوا وقوع الجرائم في ما يجاورهم

والقاب الشرف لا تورث عند الصينيين ما خلا اعقاب كنفوشيوس الفيلسوف الكبير واعقاب كوكسنغا القائد البحري الشهير فانهم يرثون القابهما وفي ما سوى ذلك تعطى الالقاب والمناصب للذين يمتازون على غيرهم بالعلم والفضل ولا يرثها اولادهم منهم. وقد يرتقي الانسان من ادنى المراتب الى اعلاها اذا درس واجتهد وفاق اقرانهُ في الامتحان

وكانت علوم الصينيين ادبية كلها لسانية الى عهد قريب وسنة ١٨٩٨ ألغي نظام الامتحان القديم ومن ثم اقبل الصينيون على اقتباس علوم الاوربيين برغبة تفوق الوصف فارسلوا ابناءهم الى مدارس اوربا واميركا وترجموا كتب العلم الاوربية وطبعوها وجروا في مدارسهم مجرى الاوربيين في مدارسهم

ولا يزال المقام الاول لرجال العلم الذين جازوا الامتحان فحالما يتم المرء دروسهُ ويجاز لهُ وينال الشهادة يصير رئيساً في بلده يشار اليهِ بالبنان ثم يجعل « تي يار » وهو يقوم مقام العمدة وقاضي الصلح ومحرر العقود فيمضي على صحة عقود البيع والشراء ونحوها ويفصل الخصومات ويتكلم عن اهل بلاده في كل المجتمعات العمومية وباسمهم يخاطب رجال الحكومة . واذا اراد دخول خدمة الحكومة في وظيفة كتابية الى ان يرقى الى اسمى الوظائف فالوزير لي هنغ تشانغ والوزير تشانغ تشيه تنغ والرئيس يوان شيه كاي وقواكلهم من اصل وضيع

والطالب الذي يفلح في الامتحان يستعزُّ ويستعزُّ بهِ اهلهُ واهل بلده لا لان الصينيين يستضعفون الكبراء بل لانهم يحترمون العلم ويرفعون قدر العقل لاسيما وانهُ كرت عليهم قرون كثيرة وهم ينظرون الى العلماء كارباب السيادة والسلطة

وقد اجلت المذاكرات التي دارت في مجتمعات الصينيين الحديثة عن انهم يطلبون الارتقاء قلبياً وقالبياً عن اخلاص تام واتضح منها ان الذين قاموا منهم يطلبون الحكومة الجمهورية مخلصون في طلبهم ليس لهم مأرب ذاتي يسعون اليهِ فلا يبعد ان تثبت الجمهورية عندهم لان لها اساساً وطيداً في اخلاقهم

هذه خلاصة ما كتبهُ كاتب معجب باخلاق الصينيين و يظهر لنا انهُ انصفهم وان الذين نبذوهم ووصفوهم اوصافاً شائنة من رجال الدين ورجال السياسة لم ينصفوهم اما لانهم نظروا اليهم بعين مؤها الغرض فرأوا السيئات ولم يروا الحسنات او لان مصالحهم تقضي عليهم بتسويد وجوه غيرهم تثبيتاً لاقدامهم واستدراراً لاموال المحسنين ومن المحتمل انهُ كان

طرقًا واسعة لم اليد الطولى في تكريه السفر الى الصينيين في القرون الاخيرة حتى لا يستفيدوا منهُ لانهم كانوا كثيري الاسفار قبل ذلك فلا يحتمل انهم يقطعون عنها من تلقاء انفسهم

والذين عاشروا الصينيين زمانًا طويلاً وعاملوهم متفقون على انهم من اصدق الناس واذكاهم واوفرهم اجتهادًا. وقد رأينا غير واحد من الذين اقاموا سنين كثيرة في الصين واليابان فاكدوا لنا ان نجاح الصينيين مضمون مثل نجاح اليابانيين ويظن بعضهم ان الصينيين سيفوقون اليابانيين اذا لم تتعرض لهم الدول الاوربية بسوء وتوقع المشاكل في بلادهم

فاذا صحَّ ما يتفاءل بهِ المعجبون باخلاق الصينيين وجرت الصين مجرى اليابان ونجحت نجاحها في اعوام قليلة حقَّ لنا ان نبحث عن الاسباب التي يسَّرت لها النجاح والاسباب التي تقف في سبيل نجاحنا

اصل النيازك

وصفنا في جزء يونيو الماضي الحجارة النيزكية التي وقعت في بلد النخلة في مديرية البحيرة ملخصين ذلك من رسالة للدكتور بول. ووعدنا باستيفاء الكلام على اصل النيازك من رسالتهِ وهاك خلاصة ما قالهُ في هذا الموضوع

في الارض صخور تشبه هذه الحجارة النيزكية في تركيبها ولكنها بعيدة عن البراكين العاملة وزد على ذلك ان كيفية وقوع النيازك على وجه الارض تمنع كونها من مقذوفات البراكين الارضية العاملة الآن. فان عمود الدخان المتصل بها وانصهار سطحها يدلان على انها دخلت جوَّ الارض وهي مسرعة سرعة فائقة كافية لاحمائها وصهرها وتبخير جانب من سطحها باحتكاكها بدقائق الهواء. وليس في الارض الآن بركان يستطيع ان يقذف الحجارة بمثل هذه السرعة. ولذلك نستنتج ان هذه الحجارة وصلت الى الارض من الفضاء بعد ان سارت فيهِ قرونًا عديدة على ما يظهر واتفق ان قاربت الارض في سيرها فجذبتها الارض اليها. ويستدلُّ من انفراجها في الارض نحو نصف مترفقط انها وصلت الى سطحها وسرعتها نحو مئة متر في الثانية من الزمان. ولا بدَّ من ان سرعتها كانت اكثر من ذلك كثيرًا ثم قلَّت بمقاومة الهواء لها وكانت هذه المقاومة تزيد بدنوها من سطح الارض ولا يبعد انها كانت تسير كلومترات كثيرة في الثانية عندما دخلت جو الارض. ولا دليل على ان الحجارة النيزكية تفرق في حركتها عن الشهب التي تقاس سرعتها احيانًا فتبلغ ثلاثين كيلومترًا